

تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن/ الطبرسي (ت 548 هـ) مصنف و مدقق مرحلة

أولى

{ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } * { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } * { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } *
{ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ } * { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } * { لَكُمْ دِينُكُمْ } *
وَلِي دِينِ { (1-6)

القراءة: قرأ نافع وابن كثير وحفص عن عاصم لي دين بفتح الياء والباقون بسكون الياء.

الحجة: إسكان الياء من ولي وفتحها جميعاً حسنان سائغان.

الإعراب: ولا أنتم عابدون ما أعبد كان الوجه من أعبد ولكنه جاء بما ليطابق ما قبله وما بعده. وقيل: إن ما هنا بمعنى من والعائد من الصلة إلى الموصول في الجميع محذوف والتقدير ما تعبده وما أعبدته وما عبدتموه.

النزول: نزلت السورة في نفر من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن أبي وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب بن أسد وأممية بن خلف قالوا هلم يا محمد فاتبع ديننا نتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد إلهتنا سنة ونعبد آلهك سنة فإن كان الذي جئت به خير مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال صلى الله عليه وسلم: " معاذ الله أن أشرك به غيره "

قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدّك ونعبد إلهك فقال حتى أنظر ما يأتي من عند ربي
فقرل { قل يا أيها الكافرون } والسورة فعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤوسهم ثم قرأ عليهم حتى فوغ من السورة
فأيسوا عند ذلك فأذوه وأذوا أصحابه قال ابن عباس: وفيهم نزل قوله

{ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون }

[الرؤمر: 64].

المعنى: خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وسلم فقال { قل } يا محمد { يا أيها
الكافرون } يريد قوماً معينين لأن الألف واللام للعهد { لا أعبد ما تعبدون } أي لا
أعبد آلهتكم التي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال { ولا أنتم عابدين ما أعبد } أي إلهي
الذي أعبده اليوم وفي هذه الحال أيضاً { ولا أنا عابد ما عبدتم } فيما بعد اليوم
{ ولا أنتم عابدون ما أعبد } فيما بعد اليوم من الأوقات المستقبلية عن ابن عباس
ومقاتل قال الزجاج: نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه السورة عبادة آلهتهم عن
نفسه في الحال وفيما يستقبل ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وهذا في
قوم أعلمه الله سبحانه أنهم لا يؤمنون كقوله سبحانه في قصة نوح (ع) أنه لن يؤمن
من قومك إلا من قد آمن. وقيل أيضاً في وجه التكرار أن القرآن نزل بلغة العرب ومن
عادتهم تكرير الكلام للتأكيد والإفهام فيقول المجيب بلى بلى ويقول الممتنع لا لا عن
الفراء قال ومثله قوله تعالى

{ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون }

[التكاثر: 3, 4] وأنشد:

وَكَايْنِ وَكَمْ عِنْدِي هُمْ مِنْ صَنِيعَةٍ أَيْدِي تَنَوَّهَا عَلَيَّ وَأَوْجِبُوا

وأنشد:

كَمْ نِعْمَةٌ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ

وقال آخر:

نَعِقَ الْغُرَابُ بَيْنَ لَيْلَى غُدْوَةً كَمْ كَمْ وَكَمْ بِفِرَاقِ لَيْلَى يَنْعِقُ

وقال آخر:

هَلَّا سَأَلْتَ جُوعَ كِنْدٍ مَدَّةَ يَوْمٍ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا

وقال آخر:

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَعْضَ الْأُمُورِ فَأَوْلَى لِنَفْسِي أَوْلَى لَهَا

وقال: وهذا أولى المواضع بالتأكيد لأن الكافرين أبدوا في ذلك وأعادوا فكرر سبحانه ليؤكد إياسهم وحسم أطماعهم بالتكرير. وقيل أيضاً في ذلك إن المعنى لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ولا أنتم عابدون الله الذي أنا عابده إذا أشركتم به واتخذتم الأصنام وغيرها تعبدونها من دونه وإنما يعبد الله من أخلص العبادة له ولا أنا عابد ما عبدتم أي لا أعبد عبادتكم فيكون ما مصدرية { ولا أنتم عابدون ما أعبد } أي وما تعبدون عبادتي على نحو ما ذكرناه فلراد في الأول المعبود وفي الثاني العبادة فإن قيل: أما اختلاف المعبودين فمعلوم فما معنى اختلاف العبادة.

قلنا إنه يعبد الله على وجه الإخلاص وهم يشكون به في عبادته فاختلفت العبادتان ولأنه كان يتقرب بعبادته إلى معبوده بالأفعال المشروعة الواقعة على وجه العبادة وهم لا يفعلون ذلك وإنما يتقربون إليه بأفعال يعتقدونها قربة جهلاً من غير شرع.

{ لكم دينكم ولي دين } ذكر فيه وجوه أحدها: أن معناه لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وثانيها: أن المعنى لكم كفؤكم بالله ولي دين التوحيد والإخلاص وهذا وإن كان ظاهره إباحة فإنه وعيد وتهديد ومبالغة في النهي والوَجْر كقولهِ

{ اعملوا ما شئتم }

[فصلت: 40] وثالثها: أن الدين الجزاء ومعناه لكم جزاؤكم ولي جزائي قال الشاعر:

إِذَا مَا لَقُونَا لَقِينَاهُمْ وَدِنَانَهُمْ مِثْلَ مَا يَقْرِضُونَا

وقد تضمنت السورة معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم من جهة الإخبار بما يكون في الأوقات المستقبلية مما لا سبيل إلى علمه إلا بوحي من قبل الله سبحانه العالم بالغيوب فكان ما أخبر به كما أخبر وفيها دلالة على ذم المداهنة في الدين ووجوب مخالفة الكفار والمبطلين والبراءة منهم وروى داود بن الحصين عن أبي عبد الله (ع) قال إذا قرأت { قل يا أيها الكافرون } فقل أيها الكافرون وإذا قلت { لا أعبد ما تعبدون } فقل أعبد الله وحده وإذا قلت لكم دينكم ولي دين فقل ربي الله وديني الإسلام.